

قراءة فكرية في التغييرات الثقافية والمجتمعية للكيان نصري الصايغ: الحقد اللبناني فاق معدلات العنصرية

كل مجتمع في مراحل مسيرته ضمن الكيان الواحد، من المفترض ان يكون وطناً نهائياً مبنياً على منطق الدولة والمؤسسات، يخضع الى عملية نقد ذاتي بهدف التطوير نحو الاحسن، اي ان قوة الوطن بشعبه وارضه ومؤسسته تنبع من القدرة على ان تكون ادوات العلاج ذاتية، حتى لا يصاب الوطن بقصور القدرة على تحديد مكامن الخلل

خلال مئة عام لتحويل الجماعات التي قامت بترسيخ وتكريس نزوعها الى الهويات الدينية، بسلك الطريق الى الوطن، بثقافة الانتماء للبنان بنظام مؤسس على المواطنة، وليس على المواظفة.

■ كان ينظر الى لبنان دائماً بتنوعه الثقافي والديني، هل الفريدة اللبنانية هي حقيقة ام وهم؟

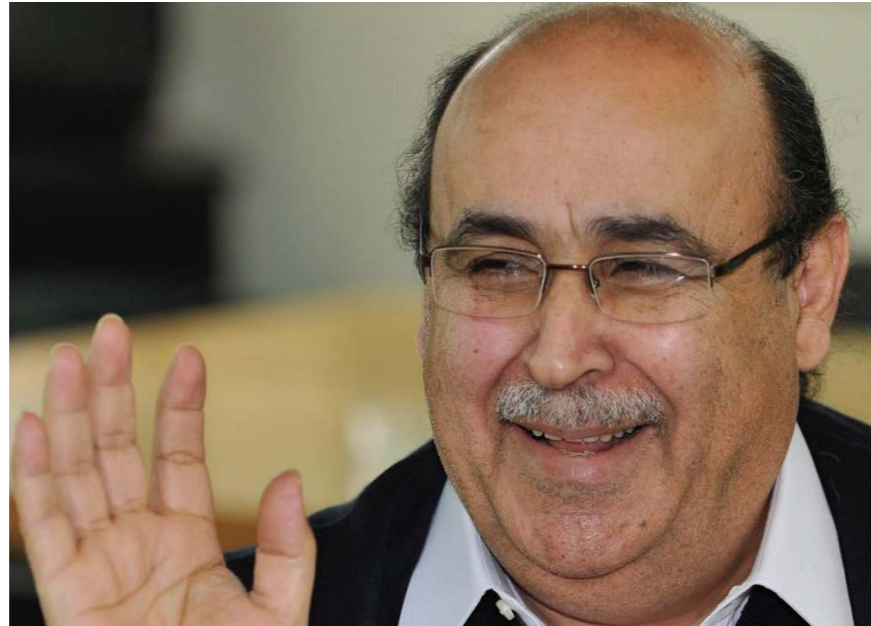
□ لبنان فريد من نوعه، اذا اجرينا مقارنة بدول المنطقة العربية، لوجدنا انها لا تمت بصلة الى فسيفاء الدول العربية. لبنان، لم يكن متنوعاً ثقافياً، لأن الثقافة عامة تتأسس على التنوع والاختلاف. انما حاولت المارونية، عبر صحافتها وجامعاتها وانديتها، ان تلم الشمل الطوائفي ضمن خيمة واسعة، بهدف تكريس مواطنة على حساب الطوائفية، بحيث باءت كل المحاولات بالفشل. الشارع اقوى من الفكر، اقوى من الامنيات، اقوى من اي مشروع توحيدي متنوع. دائماً كانت الثقافة سبابة على السياسة. الثورات والتغييرات لم تحصل بقرارات ابداء، بل بقناعات جديدة، تبلورها من مفكرين وفلاسفة وجامعات. حاول مثقفو لبنان ان يقرعوا الباب. لالاسف، وجدوا ما خلف الباب، ركاماً ثقافياً متصلاً اتصالاً وثيقاً بثقافة متخلفة، هي سليل المرحلة المظلمة في تاريخ العرب تحت وباء العثمانيين. التنوع وغنى الاديان في ذاتها، ذات طابع طهراني، فقط في النص التأسيسي. اما المتدينون، ففي كل واد يهيمون. لبنان لا يمكن ان يكون لا مسيحياً ولا مسلماً ولا... لكنه كان بهويات من سلالة التدين المتنوع وغير المستنير.

من ذلك، بلد بلا سلطة تامة. السلطة فيه على قارعة القوى الموروثة من ازمته سابقة رست في القائمقاميتين، ثم في نظام المتصرفية، الحاكم مسيحي اجنبي والطوائف ممثلة نسبياً فيما القرارات في يد المتصرف ومرجعياته الدول الاجنبية. كان من المفترض ان تتحول البنية الاهلية الى بنية اجتماعية. لم يحدث ذلك، ولعل السبب كامن في طبيعة الكيان ووظيفته، الذي استولد ليكون للموارنة اولاً، ثم لمن ينضم اليه من السنة غصبا ورضوخاً، بعد فشل مطلب الوحدة في سوريا. واذا بدا ان لبنان، سيكون صورة عن المتصرفية بادارة محلية، اي لبنانية. الكيان هذا، لم يبلغ مقام الدولة (التسميات لا تفي بالدلالة على دولة). تم تقسيم لبنان على قياس الطوائف الراسخة واوزانها، التي تعود جذورها الى العصور الوسطى. وقد صيغت القاب كثيرة لهذا الكيان، كان ابرزها: "لبنان بجناحيه"، ثم صار بأجنحة عدة، بعدما قرعت القبضة الشيعية ابواب السلطة، في زمن موسى الصدر، الذي صار احد اعمدة السلطة، الى جانب الموارنة والسنة. اذا، فرنسا، مع قيادات لبنانية، اسست كيانا تلتقي فيه زعامات الطوائف والعائلات، وهذا الكيان بات ساحة لصراعات ونزاعات وحصص. اخيراً، هل كان للبنان بنية؟ طبعاً. انها بنية مهزوزة. بنية طوائفية، الولاء فيها للطوائفيات المتنازعة. لو لم يكن لبنان قد تأسس كملجأ لطوائف متنازعة وحاملة لارث الانشقاقات والمعارك والاحترايات، لكان في الامكان، وضع خارطة للمستقبل، ينتقل معها "الشعب الغائب" الى "الشعب الحاضر" حضوراً تأسيسياً. لا آلية ابداء،

هل لبنان من هذا النموذج المتميز في التشخيص والتحديد والعلاج لكل مشاكله المتناسلة؟ نفترض ان الاجابة سبيرة، ومفادها ان من ينظر الى الحقبات الزمنية التي مر بها لبنان وما شهدته من تطورات في مجملها سلبى، يتيقن ان هذا الكيان لم تتوافر له الارادات والطاقت المانعة من تحوله الى مختبر ازمان وصراعات وحروب، الامر الذي كان له عظيم التأثير على بنيتة المجتمعية والثقافية والسلوكية، ما افقده الاستثمار على ميزاته التفاضلية عن محيطه، لا بل دخل المجتمع اللبناني في مرحلة متقدمة من الخطورة المتأتمية عن تراكمات تركت اثرها البالغ في سلوكيات الافراد والجماعات، وجعلته اكثر قبولية للذهاب في مسارات سلبية خطيرة ومدمرة.

هذا الواقع قاربه المفكر اللبناني نصري الصايغ في حديث عميق اجرته معه "الامن العام"، كشف في خلاله عن كل ما يعتور الواقع اللبناني من مخاطر وازمان، راسماً خارطة طريق لكيفية التأسيس بعيداً من التطييف والتمذهب، وصولاً الى دولة مدنية محورها المواطن المجرد من كل الاحمال والموروثات المقيتة.

■ هل يمكن القول ان لبنان كان يمتلك بنية مجتمعية مقبولة تلاشت في يومنا الحاضر؟ □ يعصى لبنان عن الصياغات والانظمة السياسية. فهو ليس دولة ذات سيادة، ولا هو دولة شعب، ولا هو دولة ديكتاتورية او ديمقراطية، او ما يشبه الممالك والامارات، هو كيان فقط. وعليه، فهو بلد لا يشبه دستوره ولا نصوصه ولا قوانينه، وهو امزج



المفكر اللبناني نصري الصايغ.

لبنان عاص عن التقدم خطوة الى الامام، وعليه، بداياته كانت تبشر، اما في ما بعد فكانت تدمر. وعليه، كان لبنان يتأرجح بين حقيقة مرتجاة، وسياسات تغلب الاوهام، بكلفة التراجع. لعله، كغيره في المنطقة العربية، كان مدمناً على الاختلاف، ومصاباً بعلّة فادحة: لا ذات له يذود عنها شعبه. اذ لا ذات الا للقوى السياسي - طائفية، التي تجد سندا لها، اما انظمة في الاقليم، واما اغراء في الغرب. يقال اليوم، ان لبنان، اضاع كل الفرص، لهذا بلغ هذه النهاية البائسة: ذروة الانهيار وعتمة الايام.

■ لماذا هذا العدا المستحکم من السلطة الحاكمة لفكرة دولة المواطنة ومشروعها؟ □ اثنان على طرفي نقيض: السلطة والدولة. من يتقدم منهما على الاخر؟ طبعاً الدولة اساس والسلطة فيها ومنها. عندنا هناك حقل تبادل، انما بأولوية السلطة وليس الدولة، علماً ان الدولة اساس. ولبنان لم يصل الى مرتبة الدولة، ليس من حيث التسمية، بل من حيث الرسوخ والاولوية. "دولة" لبنان لم تتظهر كأولوية ابداء، لأن الملاصق للدولة، فهو مفهوم السيادة، ولبنان في جل تاريخه

الحلف الثلاثي الماروني على السنة. احتضن السنة المقاومة الفلسطينية، وعرف لبنان موجات تدخل، اطاحت بما لديه من حد اذني من السيادة. صار لبنان ساحة تصفيات بين الانظمة العربية، تخللها ايضا اللجوء الى استدعاء سوريا ثم الى استدعاء اسرائيل. اذا، ليس هناك عدا مقصود ومستحکم. العدا ليس مفاجئاً، ثقافة اللبنانيين البائسة، ليست لبنانية. وعليه، لا تبني دولة الا على قاعدة شعب بتوجهات مختلفة، واختلافها، يكون حول مصالح الشعب، ونحن لا شعب عندنا، عندنا شعوب ملحقة مبرجعات محضونة وترضع من عواصم المنطقة، وتستنجد على اقرانها بالقوى الخارجية. من يتأمل حقب لبنان، يخجل في عيد الاستقلال. استقلالنا، ليس معتدى عليه ابداء، انه يتسول الدعم المتنوع والمختلف، لاهداف سلطوية تدر المن والسلوى. او بعبارة اخرى، يسمحون بمد ايديهم على خرج المالية. ولا بد من ملاحظة مهمة، دولة المواطن قوامها المساءلة والمحاسبة. لبنان لم يكن وطناً، عنده مستوطنون بمواهب انتهازية. اخيراً، هل جرت محاسبة ومحكمة ما؟ ابداء. اليس لهذا بلغنا القاع الذي لا قاع بعده؟

■ اين دور المثقفين على تنوع ينايهم الفكرية والمتوارين عن القيام بأي دور طليعي على صعيد المجتمع من شأنه تحديد مسارات جديدة؟

□ مسكين لبنان، ابتلي بكل ما هو مضاد للثقافة والمعرفة والابتكار. نعم، كان لبنان، بما يتسع له من حرية، عاصمة ثقافية تستطيع ان تكون منجماً للفكر والمعرفة والطموح، ولقد قام المثقفون بهذا الدور. نشأت جمعيات واحزاب وتجمعات واندية وفصحيات ومنابر ومسارح ومطابع وصحافة، ضجت بما حملت من فكر حديث وتطلع الى مثالات واقعية، تلتقي مع ما نزع اليه الدستور اللبناني (المادة 95 اساس من اساس العلمنة)، وما نسفه في ما بعد القانون الانتخابي المسمم بالطائفية. كانت الطائفية مطرقة بسبب عبقرية

لم يكن سيداً مستقلاً. تمزق وتناحر وتقاتل اهله مراراً. لبنان لا يشجع سكانه المتنوعي الهوية. القوى السياسية اللبنانية، لم تعرف استقلالاً لبنانياً. السبب بنية الطائفية، ثم، وهذا هو الاهم، انه خلق في بنية سياسية اقليمية مصابة بالعنف الخارجي والعنف الداخلي. شعوب لبنان لا يكفيها لبنان، وليس عندها لبنان اولاً. لقد غلبت عليه الصراعات الاقليمية. انقسم اللبنانيون في العام 1958، حلف بغداد ضد جمال عبد الناصر، انفجر لبنان، وجاءت التسوية من الخارج: اميركا وعبد الناصر، وانتهت فتنة العام 1958. ثم انفجر مرة اخرى بعد حرب حزيران وخسارة عبد الناصر، استقوى

بنية لبنان مهزوزة الولاء فيها للطوائفيات المتنازعة

تعلن المديرية العامة للأمن العام تصميمها المثابرة حتى النهاية.

بد من عقد اجتماعي نظريا، كيف يمكن الالتقاء على تنافر حاد واحقاد بلغت راهنا مرتبة مهينة، الحقد اللبناني فاق معدلات العنصرية، البلد في حاجة الى عود ثقاب ليحترق، وان لم، فسوف يتعفن.

■ اين تكمن ازمة المسألة اللبنانية، هل في الانتماء او في الارادة الوطنية المفقودة ام في الشعب؟

□ ازمة لبنان نتاج ماض متخلف، وحروب طوائف، ونزاعات قبائل عائلية. ازمة لبنان في حلول سايكس - بيكو. لبنان اخترع على الورق، خارطته التأسيسية تعرضت لرسم حدود وتعرجات الكيان، كان لرغبة مارونية، هذه الرغبة اصطدمت بذكريات المجاعة في الحرب العالمية الاولى. لبنان الماروني الحاف، سيحدث جوعا مرة اخرى، ان لم تضم اليه سهول ومدن اكرثيتها اسلامية: سنية وشيعية. لبنان في الاساس هو ملك هذه الطوائف. "المواطنون نحن، خدم وعبيد الطائفية"،

في ما بعد، تبين ان اللبنانيين ليسوا لبنانيين، كلهم بلا استثناء، في حاجة الى ظهير اقليمي او دولي او ديني، وهذا على امتداد مئة عام. ولا مرة، كان لبنان لبنانيا، كان عند كل ازمة يتشظى، ويلجأ الى العنف، هل نسينا ما حصل في تاريخنا الحديث؟ هل نتذكر عدد الضحايا؟ هل نعي التهجير الساحق؟ هل ادركنا ان لبنان راهنا، تغيرت جغرافيته الداخلية؟ ليست لدينا ارادة داخلية، لبنان معبر وممر ومستقر كل الارادات، فيه يلتقي الغرب العدواني بالشتات العربي والاقليمي والدولي. هذا من زمان، حتى بلغنا راهنا، مرحلة "لبنان الساحة"، بل هي حقبة الحقب، اميركا عندما تأمر، "اسرائيل" تتصيد الفرص، والسعودية تضع يدها على ... وليس يدها بيد، وايران تخطط سجادة العبور الى منحى لا يستطيعه الا فريق لبناني. لبنان بلد اشعاعي، اي يتشظى، لا هوية لبنانية للبنانيين ولا ثقافة ولا محور، شتات عصابي ولا شفاء قريبا. هذا الذي ولد مريضا ومصابا بمرض الزفن، يحتاج الى ثقافة، لكن الزمن اليوم هو زمن مصالح.

” الشارح اقوى من الفكر
والامنيات واي مشروع
توحيدى متنوع

الفناء الاقامة معا في بقعة تدعى لبنان الى جانب اقليم يتخثر ويتداعى ويداس. لا بد من الاحلام، الاحلام او كسجين البقاء. ليت اصحاب المعرفة والوجدان ينسلخون عن الواقع الاسن، ويلتقون على الاسئلة، بدءا من الانسان، من اجل عقد انساني عميق يكون الدين البديل عن ديانا التطيف والتمذهب، وصولا الى لبنان الطبيعي وليس لبنان المخلع.

■ هل نحن في حاجة الى عقد اجتماعي جديد؟

□ افترض ان يكون السؤال كالتالي، هل نحن نضمن تنفيذ عقد اجتماعي جديد؟ النصوص نقيه عادة، العلة في النفوس. لسنا اليوم مؤهلين للتنبؤ بمستقبل لا يشبه واقعا الذي جرجر خرائبه وراءه، لدينا عقود كثيرة، بعضها كان مسجلا ومكتوبا وبعضها كان شفهي، لكن هذه العقود المتعددة كانت لمجرد الكلام. قبل الاتفاق على عقد جديد، نحيل اللبنانيين الى الاجابة عن ما يلي: هل طبقت القوى السياسية منذ التأسيس حتى اليوم، مواد الدستور الذي لا يعلى عليه؟ ابدأ. الدستور يؤول او يهمل لصالح ميثاق شفهي، يدعى الميثاق الوطني، لم يصمد امام اول عاصفة اقليمية، لم يتوحد اللبنانيون ابدأ، حتى في ازمة السلم الاقليمي والداخل، كان الدستور وجهة نظر، ولا يعلو ابدأ بل يعلى عليه بواسطة ما يسمى الميثاق. المشكلة ليست في تبني عقد ودوسه باحذية المصالح المجزية. لنفترض انه لا

◀ الغيب والكذب، صارت الطائفية الركيزة والاساس والبنيان. اتفاق الطائف رسم الطريق، النواب والوزراء والزعماء محوه، ان اعداء لبنان كثر. صوت الثقافة كتمته الاحداث العنفيه ومآثرها الاثمة. لوحظ بعد كل فتنة، وما اكثرها، ان لبنان يزيج من مكانه ويعدل مناطقه بعد العام 1958. هجر المسيحيون مساقط رؤوسهم ورحلوا. بعد حرب الخمسة عشر عاما، حصل فرز سكاني، يمكن معاينته اليوم في أبس صورته، الصفاء الطائفي في مناطق لبنان والهجرة الداخلية. الثقافة وحدها لا تفعل، هي تضيئ، لكن على المؤمنين بالعدالة والمساواة والمواطنة والدولة ان يرسموا الطريق ويحشدوا القوى لبدء مسيرة التغيير، ليس غريبا ان تهزم القوى الطائفية القوى الديموقراطية، حتى الاحزاب ضمرت امام توحش التطيف. لبنان مريض مزمن، وما هو عليه اليوم، هو نتيجة اللادولة. نعم لبنان ليس دولة، هو نظام ترضع منه قوى الامر الواقع المتناسلة عائليا وطائفيا. كأن لا شفاء للبنان.

■ هل نحن في حاجة الى عقد انساني ثقافي جديد؟

□ يا ليت، عقد انساني؟ هذا حلم ومثالية مفرطة، ليس على مستوى لبنان، بل على مستويات العالم الراهن. لدينا خزانه دولية مليئة بعقود ذات قاعدة انسانية راسخة، نموذج ذلك: شرعة حقوق الانسان العالمية، هذه اجمل صيغة وافدح ممارسة، اجتمع العالم واصدر هذه الشرعة، تبنتها الولايات المتحدة، وسفكتها وداسها بلا وخز ضمير انساني. الانسانية بضاعة غير سياسية، لذلك لبنان في حاجة الى ما دون ذلك بكثير، الان وحتى في ما بعد، هو في حالة انتهاك كل قيمه، حتى القيم الدنيا. اما كي لا نبقي عبيد اليأس، لا بد من الاقامة في المستقبل، الماضي ينخر الكيان. الحاضر كلام يداس بالاقدام الطوائفية، لا حلول الا بالاحلام المخدوعة. لكن لا بد من فيض اسئلة: من من المثقفين والمثقفين يتبرع بالتواضع ويبدأ بتأسيس



المديرية العامة
للأمن العام